على بصيرة

ألقي في ربيع ثاني ١٤٤٦هـ من الهجرة النبوية

تقديم

أنا هيد بنت عيد السمري

غفر الله لها ولوالديها

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزَّوجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعله مجلسًا مباركًا، وأن نخرج وقد ازداد فهمنا لهذا الموضوع المهم وأن نكون على بصيرة -إن شاء الله- في موضوع البصيرة.

وسنبدأ -إن شاء الله- بالسؤال الملحّ الذي لا بد أن يكون في أذهاننا أول الأمر، وهذا السؤال منطقي، وهو سؤال: ما هي البصيرة؟

قبل أن نتكلم عن أيّ تفاصيل تخص البصيرة وطلبها يجب أن نفهم هذه الكلمة بنفسها ما معناها.

الحمد لله نحن عرب، وهذه من الكلمات المشهورة المتداولة، لكن ما دمنا اجتمعنا من أجل أن نزداد بصيرة في البصيرة، فليكن جواب هذا السؤال هو أول شيء نناقشه.

سنبدأ بالجواب من خلال معرفة: من هو هذا الإنسان الذي يريد أن يكتسب البصيرة؟ وليس المقصود صفاته الخاصة، إنما المقصود الإنسان الذي خلقه رب العالمين، أي كل الناس؛ من هم؟ ومن ثم أين تكون هذه البصيرة فيهم؟

سنعرف هذا من خلال معرفتنا لخلقة الإنسان، وهنا سنعرض حديثًا مشهورًا، وهو معروف لا يغيب عنا، لكن سنتأمل فيه تأملًا يخرجنا بنقطة البداية في فهم معنى البصيرة.

نحن الآن نناقش فكرتين:

الفكرة الأولى تقول: قبل أن أتكلم عن البصيرة وسبل الوصول إليها، ... إلى آخر التفاصيل، لا بد أن نعرف ما هي البصيرة.

الفكرة الثانية: ولأجل أن أصل إلى معرفة ما هي البصيرة سأنظر للإنسان الذي يريد هذه البصيرة، من هو هذا الإنسان من جهة خلقه، من جهة حقيقته، ما حقيقة هذا الإنسان؟

هذا الحديث المشهور الذي فيه خبر غيبي عن أمر من أفعال الله -عز وجل- تدل على عظمة الله، وتدل على وصف خاص للإنسان، يقول النبي ﷺ في الحديث "إنَّ أحدَكم يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بطنِ أمِّه أربعينَ يومًا نطفةً، ثم يكونُ علقةً مثلَ ذلك، ثم يكونُ مضغةً مثلَ ذلك" وهنا يأتي الشاهد المهم "ثم يبعثُ اللهُ إليه ملَكًا، ثم يُنفخُ فيه الروح".

من الحديث الأمر تام الوضوح؛ أننا مركبين من جزئين، الجزء الأول أرضي، خُلِق في الأرض، وهذه هي نقطة الدم التي -كما أخبر سبحانه وتعالى في كتابه- علقة ثم مضغة، إلى آخر هذه التفاصيل المتصلة

بالجزء الأرضي، وهو الجزء الذي يتكون في بطن الأم، إلى وقت معين هذا الشيء المخلق ليس له شرف ولا كرامة، وإذا سقط من بطن أمه ألقينا به، فإذا جاء الملك بهذه الروح -المخلوقة- من السماء، أتى ونفخها في داخل هذا البدن، لو حصل السقط بعد يوم واحد من هذا التوقيت يصلى عليه، يكتسب الشرف الآن، دخول هذه الروح تكسبه الشرف.

إذن هذا الإنسان سيكون مكونًا من هذين الطرفين؛ طرف أرضي، وهو الذي سيكون بعد ذلك البدن، وطرف سماوي وهو الذي سنعرف ماذا سيسمى، ستأتي الروح من السماء وتدخل في هذا البدن، تسري فيه فيأخذ هذا البدن حالًا مختلفة عما كان قبل، وهذا أمر واضح تمامًا.

حقيقة الإنسان أنه مكون من جزئين، الجزء الأول هو الجسد، والجزء الثاني هو النفس، وفي الحديث سمعنا أن الملك أتى بالروح، وحين نقرر حقيقة الإنسان نقول أنه جسد ونفس.

ولنختصر الكلام الكثير، وهو مبحث طويل؛ الروح والنفس وهذه الأسماء المتداولة، لنختصرها نقول: **متى اتصلت الروح بالبدن سُمِّيت نفسًا**، لما تخرج من البدن تسمى روحًا، فهي روح تأتي من السماء، ولما تخرج تكون روحًا، وحتى في النوم؛ الموتة الصغرى، تخرج الروح، ولما تعود لتتصل بالبدن اسمها نفس، هذا بكلام مختصر.

معنى ذلك أن هذا الإنسان مكون من شقين؛ جسد ونفس، النفس هي قصتنا في موضوع البصيرة، ويقابلها الجسد، هذه المقابلة علينا أن نركز فيها لأنها ستأخذ منا وقتًا، وستكون هي مبدأ جواب ما هي البصيرة وأين مكانها؟

تصورنا أن هذا الإنسان مكون من هذين الطرفين، وهذا أمر لا يغيب عنا، الآن نريد أن نفكر في إمكانيات الطرفين اللذين الإنسان مكون منهما؛ جسد وروح، أرضي وسماوي.

هذه الأطراف كل منها له قوى، وهذه القوى تكاد تكون متقابلة تمامًا، بمعنى أن الإنسان يملك في بدنه قوة السمع، ويملك في بدنه قوة البصر، ويملك في بدنه قوة الكلام، ويملك في بدنه قوة الانتقال والارتحال -أي يمشي-، هذه القوى مفهومة، لا بد أن تتصور أن القوى الموجودة في هذا الجسد يقابلها تمامًا، وبنفس الأسماء، قوى في النفس.

نبدأ بأسهل شيء يقرب الفكرة، لما نقول الإنسان ينطق، لذا أقسم سبحانه وتعالى، بهذه الصفة {مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ}، فهذه صفة من الصفات المميزة بالنسبة للإنسان، فإذا قلنا إن الإنسان ينطق بلسانه الذي يعبر به والناس يسمعونه، سنقول والنفس تتكلم والإنسان يسمعها، وفي هذا الأمر الشاهد من أنفسنا، ولا حاجة للقيام

باختبارات، هل يوجد من لا يكلم نفسه؟ كل الناس يكلمون أنفسهم، ونحن نقول "نكلم أنفسنا"، من يسمعنا لما نكلم أنفسنا؟ فالنفس صارت فيها القوتين: قوة الكلام وقوة السماع، مثلما يخرج الكلام من لسانك البدني ويسمعك الآخرون لأن عندك قوة الكلام وقوة السمع، كذلك نفسك نفسها لها هذه القوى الخاصة بها.

بمعنى أن الإنسان يحدث نفسه، عنده قوى أن يتكلم، النفس عندها قوة أنها تتكلم، ويسمع نفسه، والنفس عندها قوة أن تسمع، بهذا سنسمي الأمر السمع النفساني والكلام النفساني، يعني أنا أسمع نفسي، وأتكلم مع نفسي، فنفسي عندها قدرة على الكلام.

ومن ذلك القلب النفساني، القلب الذي تدور فيه الأفكار ويقلب الأمور، هذا قلب نفساني أتى من جهة الروح التي اتصلت بالبدن، الفرق بين كونك تنظر إلى البدن، وكونك تنظر إلى النفس: أن البدن تستطيع أن تشير إلى لسانك وتقول يتكلم، وتشير إلى أذنك وتقول تسمع، وتشير إلى قدميك وتقول تسير، لكن لما تتكلم عن السمع النفساني، أو تتكلم عن الكلام النفساني، لا تستطيع أن تشير إلى مكانه، هذا هو الفرق.

فهو موجود في داخل النفس لكن أين مكانه؟ {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}، لكن هذا شيء أنت تشعر به، أنت تفهمه

عن نفسك، ولا حاجة أن يأتي لك أحد بشواهد عليه، أنت تشعر بنفسك أن عندك قلب يفكر ويتقلب ويحب ويكره، أين مكانه؟

هذا ليس موضوعنا، ففي الكلام النفساني ليس سؤالك أين مكانه؟ إنما سؤالك: ما هي القوى النفسية التي أملكها؟ فلا تشير مثلما تشير إلى البدن، لا تشير إليها، لا يوجد جزء ظاهر تستطيع أن تشير إليه، لكن أنت تعرف أن عندك قوى نفسية تستطيع أن تتكلم بها، وتسمع بها، وتشعر بها، عندك قلب يشعر، وهذا كله سيقابل السمع والبصر والكلام والبطش والحركة، حتى أن الإنسان بنفسه -وليس بدنه- يرحل في ذكرياته ويسير، وبنفسه يطير من مكانه إلى مكان الأحبة البعيدين، وليس ببدنه، الشوق الذي يحركه ويجعله يشعر لو أحد وصف له مكانًا أو وصف له وضعًا، يمكن أن يطير بفؤاده إلى ذاك المكان، أو يرحل إلى الخلف فيعود إلى ماضيه، وينفصل عن مشاعر الوقت الحالي، قد يشم رائحة فيشعر أنه انتقل أزمنة سابقة، يرى صورة فيشعر كأنه ارتحل بعيدًا، وهو في مكانه جالس لكن الرحلة حصلت للنفس.

تصور كل هذه القوى الموجودة في النفس، وبهذا ستتصور أن ما نسميه بالقوى البدنية سيقابله القوى النفسية، ونحن نفعل هذا كله لنعرف أين مكان البصيرة، عندما تفهم ما وُهب للإنسان ستقابل؛ تقول

كما أن الإنسان عنده سمع بدني، عنده سمع نفساني -نفساني إضافة إلى النفس-، وكما أن لديه قلبًا بدنيًا، لديه قلب نفساني.

وهذا سيفسر لنا النصوص التي يشير فيها النبي ﷺ، وآيات القرآن إلى القلب ومكانته، ولا زلنا نقول أين مكان هذا؟ ربما يفيدنا أن نفكر "إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ". كأن هذا الجزء النفساني يمكن أن يكون مستقره في هذه المضغة، والله أعلم، هذه المضغة صارت كأنها جزئين؛ جزء بدني الذي يضخ ويفعل ويفعل، وربما استقرت فيها هذه القوى، ما يهمنا هو أن نعرف هذه القوى النفسانية.

الآن البصيرة واضحة، أنت عندك أذن بدنية، وعندك بصر، عين ترى، انقلها إلى النفس ستقول: أنا عندي أذن نفسانية، وعندي لسان نفساني، وستقول عندي قلب نفساني، وعندي عين نفسانية، وعلى ذلك كما أن عينيك تبصر الأشياء، فالبصر النفساني يبصر الأشياء.

هذا البصر النفساني الذي يبصر الأشياء هل شرط أن يكون بصره سليمًا؟ لا، مثلما تتصور أن البدن يمكن أن يكون بصره قويًا وحادًا، ويمكن أن يكون ضعيفًا في بصره، كذلك تصور البصر النفساني -البصيرة-، يمكن أن يكون قويًا حادًا، ويمكن أن يكون ضعيفًا إلى حد العمى، وهذا سينبهنا على آيات مكررة في القرآن، ذكر فيها الأعمى

والبصير، أكيد أنه يراد منك أن تتصور البصر البدني والعمى والبدني، أنت ترى الأعمى وكيف يتخبط في طريقه، والبصير وكيف يمشي في طريقه، وهذا كله في البدن، يقال لك: مثل هذا تصوره في البصر النفساني، وتصور كيف يعطي ربنا كل الناس كل هذه القوى النفسانية، حيث يأتي الملك -كما في الحديث السابق- وينفخ الروح في البدن، فيعطى البدن كل هذه القوى، ثم منتفع بها أو خاسر لها، وبهذا ينقسم الناس.

إذن قررنا أمرًا غاية في الأهمية؛ حين تسأل: هذه البصيرة أين موقعها من الإنسان؟ سنقول أكيد أن هذه البصيرة تقابل البصر البدني، فالبصيرة تعبير عن البصر النفساني، هذا البصر النفساني من أين أتينا به؟ هذا جزء من القوى النفسية الموهوبة، هذه وهبت متى؟ لما أتى الملك ونفخ في هذا البدن الروح، لما نُفخت الروح في البدن اكتسبت قطعة اللحم هذه الصفات البدنية والصفات النفسية، لما جاءت الروح سرى في هذه القطعة من اللحم القوى البدنية والقوى النفسية.

من أجل ذلك انظر إلى الحديث، في الجزء الأول منه؛ تكون البدن، لكنه قبل أن يأتي الملك وتنفخ فيه الروح هو مجرد قطعة لحم، إذا سقطت تخلصنا منها، وعندما تأتي الروح من السماء وتنفخ في هذا

البدن ماذا سيكتسب البدن؟ سيكتسب كرامته، وسيكتسب قواه، أيّ نوع من القوى؟ سيكتسب القوى البدنية والنفسية، وهي متقابلة، هذه القوى البدنية والنفسية توجد ملامح مشتركة بينها، والموضوع أكبر من أن نقوله بهذا الاختصار.

ما هي الملامح المشتركة الواضحة بين القوى البدنية والنفسية؟ ببساطة: كما أن البدن فيه سمع، وفيه بصر، وفيه قدرة على الكلام، وفيه قدرة على الرحلة والسير، على الأقل خذ هذه وقل ومثلها موجود في النفس، فكما أن الإنسان ينطق فيسمعه الآخرون، فهو كثير الحديث مع نفسه، بل في الحقيقة نحن نكلم أنفسنا أكثر مما نكلم غيرنا، وقوى النفس مستعملة أكثر من قوى البدن، البدن يسير ويرحل، والنفس ترحل، أيهما أكثر؟ النفس، وأنت حين تنام وتحلم، من التي ترحل وتذهب وتأتي؟ النفس، وكثير يمكن أن يمر علينا أن نشعر أنفسنا سقطنا، أو حصل لنا كذا، من الذي يتحرك؟ النفس وليس البدن الذي يتحرك.

فهذه القوى متقابلة؛ سمع بدني وسمع نفساني، بصر بدني وبصر نفساني، قدرة على الكلام بدنية وقدرة على الكلام نفسية، وهذه لا تحتاج لا إلى فلسفة ولا أبحاث ولا تقارير، كلٌّ بصير بنفسه، وكلٌّ يعرف

أنه يحدث نفسه، ويسمع نفسه، ويفكر ويقلب وله قلب وله مشاعر، فلو قلت لك ضع يدك على مشاعر الحب والخوف، أين ستضعها؟ في داخل القلب النفساني.

وهذا من عجيب خلق الله! أن الإنسان مكون من هذا التكوين والتركيبة الخطيرة، لذا خدمة البدن فقط خسارة، لماذا؟ لأنك إنسان بالنفس لا بالبدن، وهذا البدن لاحقًا سيحصل له التغيير، سيحصل له التبديل، سيحصل تخلص منه، فتكون النفس هي الشريفة، صاحبة الإمكانيات.

كل هذا الكلام الذي نقوله نريد أن نصل من خلاله إلى البصيرة، أين مكان البصير بعد أن قلنا كل هذا الكلام؟ البصيرة في النفس، تقابل البصر البدني، بهذا تصورنا مكانها، وما هي، ولا نقصد مكانها بالتحديد لكن نتكلم عن موقعها، فالبصيرة وهي من نفس الأحرف، ستقابل البصر البدني.

القرآن يصور هذه البصيرة، وهذه رحلة مع آيتين من سورة الأنعام تحتاج إلى شيء من التركيز والتنبه، لكي نرى كيف هي هذه الصورة التي يجب أن تتصورها تجاه البصيرة، لتكون البصيرة موضوع اعتناء.

الكلام عن البصيرة ليس كلامًا تكميليًا ولا تثقيفيًا، الكلام عن البصيرة ليس من باب الزيادة، الكلام عن البصيرة يعني كلامًا عن تحديد المصير، إنسان يحدد مصيره، إما يرى الطريق ويسير فيه، وإما -نعوذ بالله- يكون من العمي الذين يتعثرون، فيقعون وتكون النهايات غير مرضية.

لا زلنا نقول أن الموضوع ليس تثقيفيًا، ليس تكميليًا، الموضوع مصيري، وسنرى هذا من خلال العرض القرآني، فليس كل من يفهم كلمتين يقول للناس هذا الموضوع مهم، وهذا الموضوع غير مهم، ولكن إذا رب العالمين الذي خلق الخلق دلنا على أن هذا الموضوع مهم، إذن هو المهم، وإذا ما كان هذا الموضوع في كتاب الله أو في سنة النبي ﷺ أشير إليه بالأهمية، لن يكون مهمًا، **فترتيب الأولويات والاهتمامات ليست آراء من الناس، يجب أن يكون هناك نص دال على ذلك.**

سنرى آيتين، والعجيب أن هاتين الآيتين في سورة الأنعام، والسياق بين الآية الأولى والثانية مليء بالمعاني التي توصلنا للآية الثانية.

بالترتيب: سنفهم الآيتين فهمًا إجماليا، ثم نفهمهما فهمًا تفصيليًا، ثم نرى موضوعنا -البصيرة- أين ستكون.

النموذج الأول الذي أخبرنا به سبحانه وتعالى -لنركز على الآية-: {كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ} انظر لهذه الصفة {لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى} ماذا يقولون؟ {ائْتِنَا} يدعونه إلى الهدى، ثم يجيب رب العالمين {قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ}، صفة هذا الإنسان الذي أصحابه يدعونه إلى الهدى، حيران.

هل تصورتم هذه الحيرة؟ دائمًا نستعمل كلمة الحيرة أو نقول "أنا حيران" أين؟ في الاختيار، في القرارات، لنتذكر هذه الكلمة، لأن هذه الحيرة المتصلة بالقرارات أكيد أنها ستنبهنا للبصيرة، وصف الله -عز وجل- هنا هذا الشخص الحيران، الذي له أصحاب ماذا يفعلون؟ يدعونه، يقولون له تعالَ، لكن هو حيران.

لنرى الآية الثانية في سورة الأنعام أيضًا، هذا في صورة مثل أيضًا، ماذا يقول عز وجل؟ {أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ} وماذا وهب؟ {وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ}.

تخيل هذا قريب جدًا من موضوعنا، نور يمشي به في الناس، والثاني من هو؟ {كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا} لنرَ هاتين الصورتين:

الآيتان في سورة الأنعام، ولهما صلة بموضوع البصيرة، بالإجمال: هاتان الآيتان تتكلمان عن أحوال للإنسان وهو سائر في الحياة، خاصة أمام الاختيارات والقرارات.

الناس -في الحقيقة- الحياة بالنسبة لهم والطريق بالنسبة لهم هو مجموعة من القرارات والاختيارات، لذلك قال تعالى {فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ}، (اقتحام العقبة) ستجد وأنت سائر في طريقك عقبة، يجب أن تختار الطريقة التي ستتعامل فيها مع هذه العقبة، اقتحامها يعني تجاوزها، والتجاوز لن يكون إلا بقرار، وسيتضح لنا علاقة هذا بموضوع البصيرة، إن شاء الله.

فهمنا الآيتين بالإجمال وسنتكلم عنهما بالتفصيل، لكن تصور ماذا يمكن أن تكون علاقة هاتين الآيتين بالبصيرة؟ سنأخذ كلمة من الآية الأولى، وكلمة من الآية الثانية، ونقول من هنا سنفهم علاقتهما بالبصيرة.

في الآية الأولى كلمة (حيران)، فهو حالته أنه حيران، والبصيرة بالنسبة له ماذا ستفعل به؟ ستذهب عنه الحيرة، هو حيران لا يعرف ماذا يختار، فلو تبصر بصرًا نفسانيًا في الموضوع، وعرف نهاية هذا، وعرف نهاية هذا، هل سيبقى محتارًا؟ لا، **بالبصيرة ستذهب الحيرة**.

إذن في الآية الأولى الكلمة المتصلة بالبصيرة هي كلمة (حيران)، ما علاقتها بالبصيرة؟ بالبصيرة ستذهب الحيرة.

لما يقال لك لماذا موضوع البصيرة مهم؟ وقد يقول أنا ليس عندي حيرة، ماذا تقول له؟ الحياة -في الحقيقة- مجموعة قرارات، كونك عقدت النية على أنك مثلًا تحضر لقاء، أو تحفظ القرآن، أو تذهب، أو تفعل، أو هؤلاء أصحابي وهؤلاء ليسوا بأصحابي، ... هذه كلها عبارة عن قرارات، ونحن الآن نعمل مجلس شورى ماذا سنتغدى اليوم، هذه قرارات، نحن على المستوى الفردي، وعلى المستوى الأسري، وعلى المستوى الاجتماعي، في نهاية محادثاتنا وعلاقاتنا نحن نأخذ قرارات.

ما أكثر ما يتعبنا في القرارات؟ الحيرة سواء بسبب عدم وجود معلومات كافية أو غير ذلك، فهناك أسباب كثيرة للحيرة، الخلاصة: نحن عندنا حيرة، هل البصيرة لها علاقة بهذه الحيرة؟ نعم! ماذا تفعل البصيرة؟ ستذهب الحيرة.

سيتبين أن البصيرة ستأتي لي بمجموعة معلومات تجعلني أرى الأشياء وأقلبها ثم آخذ قرارًا، فأنت لن تكون في حياتك حيرانًا ما دمت وهبت البصيرة، لا تستعجل على كيف أوهبها وكيف أصل لها، اصبر، فنحن في

نقطة البداية، لكن يجب أن تشعر أنه موضوع مصيري وليس موضوعًا تكميليًا. انتهينا من الآية الأولى.

أين البصيرة في الآية الثانية؟ في كلمة (نور).

فيزيائيًا هل يمكن للبصر أن يرى الأشياء بدون نور؟ لا، ولا تحتاج إلى شواهد على ذلك، فإذا عندي عينان وعندي بصر والنور مطفأ، فلن أرى، وحينما يشتعل النور أرى.

البصيرة عبارة عن النور الذي يلقى على الأشياء فأستطيع أن أراها بصورة حقيقية، وسنرى في تفسير الآية كيف هذا التعبير القرآني البديع؛ {وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا} هل يتركه في البيت ويخالط الناس بغيره؟ لا، بل {يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ}.

تصور أن معه نورًا -كشافًا- يكشف الأشياء، فيختار: أسير مع هذا ولا أسير مع هذا، آخذ هذا القرار ولا آخذ هذا القرار، أقتحم هذا ولا أقتحم هذا؛ يأخذ النور ويكشف به الأشياء ثم يتخذ قراراته.

{وَجَعَلْنَا} فهذه هبة، {وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ}، بذلك فهمنا من الآية الثانية أن **البصيرة هي النور الموهوب الذي يستطيع الإنسان أن يمشي به في الناس**، وسنرى معنى {يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ}.

الآن قمنا بخطوتين؛ فهمنا الآيتين إجمالًا، وتقريبًا فهمنا رابطهما بموضوع البصيرة، وسنفهمهما الآن على وجه التفصيل، وهذا سيدخلنا قليلًا في شيء من تفاصيل الآية.

هذه السورة -سورة الأنعام- العظيمة، سورة تعبر عن "رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولًا"، سورة الرضا عن الله وعن شرعه وعن دينه وعن رسوله ﷺ، وهي في سياقها تكررت كلمة (قل)، وفي القرآن عمومًا حيث تجد كلمة (قل)، يراد منك أن تأتي لما بعدها وتفهمه فهمًا جيدًا، وتجعله جزءًا من عقيدتك.

انظر بداية الآية، يؤمر النبي ﷺ أن يقول هذا القول هو ومن تبعه، هو ومن رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا، أُمروا أن يقولوا: {أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا}، هذا عرض استنكاري، كيف نفعل هذا؟ أين هي عقولنا التي تجعلنا نطرق أبواب قوم لا يستطيعون نفعًا ولا ضرًا؟!

ثم جاء هذا التعبير: {وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ} معنى ذلك أن الإنسان تقدم، وإذا فعل هذا الفعل كأنه رجع إلى الوراء -أي ارتد على عقبيه-، -ولا تنسَ القرارات-.

ثم جاء مَثَل: {كَالَّذِي}، لو بعدما تصورت الأمر، ورأيته بعينيك وصار عندك بصيرة ودخلت الصواب، ثم لسبب ما انطفأت هذه البصيرة، انطفأ هذا النور، ما الذي يُتوقع -والعياذ بالله- مِن الذي انطفأ نوره؟ سيرتد، صورته مثل من؟ {كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ}.

جملة (استهوته الشياطين) عند العرب تعني الذي أصبح مجنونًا بعدما كان عاقلًا، من يصاب بالجنون يقال عنه استهوته الشياطين، إذن المثل مضروب لمن ترك الحق وارتد على الباطل، بعدما رأى الحق وفهم الحق ما تمسك بالحق، ما ثبت على الحق، بل ارتد على عقبه.

هذا يشبه من؟ ستظهر لنا صورة مركبة، أولًا في هذه الصورة المركبة افهم معنى {كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ} هذا تعبير عند العرب معناه المجنون بعد أن كان عاقلًا، حيث خرج إلى البر فخطفته الشياطين، فيقولون استهوته الشياطين.

التشبيه لواحد كان يعرف الحق، ويميزه، ويبصره، ويعرفه، ويحبه، ثم ما تمسك به، بل ارتد، فهذا مثل واحد ذهب عقله بالجنون.

هذا الشخص الذي ترك الحق، سيره في الأرض وحركته في الأرض مثل الحيران الهائم، وهو لما كان يعرف الحق كان عنده ميزان، فأيّ موقف يمر عليه يزنه، أو لنفكر بطريقة أخرى، كان عنده بصيرة، فيسلط نورًا

على الأمور، ينظر للأمور ويقيسها ويتخذ قرارات، فلما ترك الحق وذهبت بصيرته أصبح هائمًا {كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ}، يعني هائم على وجهه.

وهذه الصوة قد تكون مرت عليك، تجد إنسانًا عاقلًا ومستورًا في بيته، ثم لسبب من الأسباب يذهب عقله -الله يعيذنا ويحفظ شبابنا-، من المخدرات وإلى آخره، فأنت ترى شكله أنه في الأرض حيران؛ يخرج بحالة غير مناسبة، يسير سيرًا غير مناسبًا، وغير ذلك بهذه الصورة، فقد عقله.

انقل هذه الصورة لصورة الإنسان الذي كان يعرف الهدى، ويفهمه، وعنده بصيرة، فيعرف حقائق الأشياء، ثم ترك إمداد هذه البصيرة بالبصر، انطفأت البصيرة، ماذا سيكون في الأرض؟ مثل المجنون الذي صار حيرانًا، لا يفهم هل يتقدم أو يتأخر، هل يذهب إلى اليمين أو يذهب إلى اليسار.

نريد أن نتصور هذه الصورة واقعيًا تمامًا، وننقلها لمن يفقد البصيرة.

وهذا رُزق من يمد اليد له {لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى}.

هذا المثل يمكن أن تفهمه بهذه الطريقة: {كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ} يعني الذي ارتد، مثل الذي ذهب عقله، وسيره وحركته في

الأرض مثل الهيام في الأرض، والشياطين كانوا هم الفجرة الكفرة وكل من دعاه للارتداد، أي الشياطين هنا كل واحد شارك في إطفاء بصيرته، هذا يقابله: {لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى}.

في التشبيه يمكن أن تتصور أن كل من دعا إلى الحق، كل من علّم الحق، كل من ربى على الحق، كل من اجتهد في نشر الحق مثل هؤلاء الأصحاب، ماذا يفعلون؟ {يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى}.

الأصحاب الآن يكونون المربين والمربيات والمصلحين والمصلحات ناشري الحق، هم هؤلاء الذين يدعون الآخرين إلى الهدى من أجل أن يتبصروا.

فهذه الصورة؛ صورة إنسان كان يعرف الحق، وما تمسك به، فأصبح كفاقد عقله {كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ}.

فاقد عقله هذا سمع وامتلأ فؤاده بالضلالات، تسلط عليه الناس الذين يأتون له بالضلالات، فكانت هذه النتيجة، لكن هذا ما خلا من أصحاب يدعونه إلى الهدى.

معنى ذلك أن **الإنسان حينما يكون فاقدًا للبصيرة، يتوجب على من عنده بصيرة أن يدعوه إلى الهدى**، هذا النص يقول لك حتى لو فقد

البصيرة، حتى لو أصبح في الأرض حيرانًا، لا تتركه، لا تهمله، ادعه إلى الهدى.

قمنا بالثلاث خطوات؛ فهمناها بالإجمال، عرفنا علاقتها بالبصيرة، وفهمناها بشيء من التفصيل، ويمكن مراجعة هذه الآية لأن هذه الآية من الآيات المدهشة في تصوير هذه الحالة، خصوصًا لو رأيتها واقعيًا، لو رأيت أحدًا كان على الهدى -الله يثبتنا "يا مقلِّبَ القلوبِ ثَبِّتْ قلبِي على دينِك"- ثم حصلت له حالة من الارتداد، أنت تشعر أنه في الأرض حيران، انطفأت بصيرته، يجب أن يكون حصل له تغيير في الداخل، الآية ترشدك أنه يوجد مصلحون، يوجد أصحاب يدعونه إلى الهدى، هؤلاء الأصحاب ممدوحون، الناس الذين يكونون على بصيرة ويرشدون الناس للبصيرة ممدوحون.

سنرى الآية الثانية التي في سورة الأنعام، هذه الآية أيضًا من الآيات المشهورة في بيان هذا المعنى، يصف -عز وجل-، الإنسان الخالي من الهداية، الخالي من البصيرة، يصفه بماذا؟ بالميت {أَوَمَن كَانَ مَيْتًا} ماذا حصل له؟ {فَأَحْيَيْنَاهُ} أحياه الله، بماذا أحياه؟ يقول ابن القيم: "فأحياه -سبحانه وتعالى- بروحه"، أي بث فيه روحًا.

تصور أن نفسه ميتة، هو ليس ميت بدنًا، هو ميت نفسًا، الله أحياه بروحه، هذه الروح التي هي وحيه سبحانه وتعالى، وحيه الذي امتن به علينا، وحيه الذي تفضل به علينا، وحيه الذي هو كلامه، سبحانه وتعالى.

"وهو روح الإيمان والعلم" إذن هو كان ميتًا وربنا أحياه بروح، هذه الروح هي العلم والإيمان، هل فقط حيت نفسه؟ هو كان ميتًا وربنا أحياه، وزيادة على إحيائه وُهِب -بتعبيرنا الذي نستعمله- بصيرة، وُهِب نورًا، هذا النور ماذا يفعل به؟ يمشي به بين أهل الظلمة، كما يمشي الرجل بالسراج المضيء في الظلمة.

تصور مكانًا مظلمًا، ثم هذا يحمل سراجًا ويسير به، فسيكون هذا النور سببًا لئلا يتعثر، وسبب لأن يسير بهدوء، وسبب لأن ينجو من المهالك، وليس هذا الأمر خاص به، بل يسير به في الناس وينفع غيره.

يقول -ابن القيم-: "فهو يرى أهل الظلمة في ظلماتهم وهم لا يرونه، كالبصير الذي يمشي بين العميان". هذا معنى، وسنرى معنيين آخرين.

بمعنى أن من عنده بصيرة لما يأخذ قراراته يمكن أن يحيطه جماعة من العميان، فيلومونه، ويقللون من كفاءة هذا الاختيار، ويشعرونه أنه دفن نفسه، ... وكل الكلمات التي تعرفها، لكن هو لو كان على بصيرة من

ربه، وكان معه نور، سيكون مطمئنًا أنه سائر كما يجب، ويتصور هذه الصورة؛ أنه هو بصير يسير في مجموعة عميان.

سنرى أيضًا معنى آخر لـ {نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ}، يقول ابن القيم: "﴿وَجَعَلْنا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النّاسِ﴾ يتضمن أمورًا؛ أحدها: أنه يمشي في الناس بالنور، وهم في الظلمة، فمثله ومثلهم كمثل قوم أظلم عليهم الليل، فضلوا ولم يهتدوا للطريق، وآخر معه نور يمشي به في الطريق ويراها، ويرى ما يحذره فيها". المعنى الأول هو الذي اتفقنا عليه؛ أنه هو المستفيد.

سنرى معنى آخر: "وثانيها: أنه يمشي فيهم بنوره فهم يقتبسون منه لحاجتهم إلى النور"، وهذا معناه أن صاحب البصيرة سينفع نفسه وينفع غيره، مثل {لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى}.

بهذا فهمنا أن النور يمكن أن يكون نافعًا لك أنت لوحدك، وهذه الحالة موجودة؛ جماعة عميان ومصرون على رأيهم، ومصرون على سيرهم، وقد وُهبت نورًا، وُهبت بصيرة، رؤيتك للأمور أبعد من الحدود التي هم يرونها، سيخالفونك لكن أنت قد بُصّرت، والحمد لله، فخذ قراراتك ولا تبالي.

وهناك جماعة آخرين مقبلون عليك، يريدون أن يستفيدوا منك، فأنت عندك بصيرة وتنفع غيرك، هذا معنى آخر.

ومعنى ثالث، وهذا المعنى لازم: "وثالثها: أنه يمشي بنوره يوم القيامة على الصراط إذا بقي أهل الشرك والنفاق في ظلمات شركهم ونفاقهم"، كما تدل آية سورة الحديد {فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ}، في بداية الآية يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا {انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا} فهذا من لوازم النور.

بذلك أصبح {نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ} لها ثلاثة معاني: أنت عندما تكون عندك بصيرة، أي توهب نورًا تمشي به في الناس:

١- يمكن أن يكون هؤلاء الناس عمي، فلا تتأثر بهم،

٢-ويمكن أن يكون الناس الذين حولك عندهم حالة من التبصر لكنهم يحتاجون إلى المزيد، فأنت ستكون مبصرًا لهم، مثل الآية السابقة {لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى}،

٣-واعلم أن هذه البصيرة التي في الدنيا تكون نفسانية ستكون يوم القيامة حسية، هذا النور الذي في داخل الإنسان الذي يرى به الحقائق يوم القيامة سيصبح نورًا حسيًا، وسيقسَم لكل إنسان منا على قدر نوره

المعنوي الذي كان في الدنيا، سيقسم له نور حسي، حتى أن ابن مسعود يقول: "يكون الرجل نوره على قدر إبهامه" فقط، ليس عنده من النور إلا على قدر إبهامه، لا يرى إلا هذه المساحة الصغيرة، "ويكون الرجل عنده نور مثل ما بين المدينة وعدن، ولا ينتفع منه إلا هو".

إذن نور البصيرة التي هي مبحثنا وكلامنا هو الآن في الدنيا نفساني، لكن غدًا في الآخرة سيكون حسيًا، سيحتاجه الإنسان حتى يسير على الصراط، وسيحتاجه الإنسان في الظلمات.

المقصد أن الناس يكونون موتى فيحييهم الله، ويكونون في ظلمة ما معهم بصيرة فيبصرهم الله، فهي في المفهوم أن هذه البصيرة حاجة في الدنيا وحاجة في الآخرة، نحن نحتاج إليها، ليست زيادة، ليست أمرًا يخص بعض الناس، كلنا في الدنيا أمامنا عقبات، وكلنا عندنا قرارات، والبصيرة مسلطة على هذه النقطة خاصة؛ على نقطة القرارات، وعلى نقطة السير في هذه الحياة.

هاتان الآيتان في سورة الأنعام، وغيرهما كثير من النصوص الدالة على أهمية مسألة البصيرة، واقرأ في القرآن وانظر كيف رب العالمين دائمًا ينبهنا على الأعمى والبصير، ومن المؤكد أنه ليس مقصود الأعمى ولا البصير الحسي.

ربنا يقول هل الأعمى مثل البصير حسيًا؟ لا، ما المراد بهذا الخبر؟ المراد أن تفكر؛ ما دام الأعمى والبصير الحسيان لا يتساويان في الدنيا، مثلهم النفساني وأشد، فمن معه بصيرة ليس مثل الذي ليس معه بصيرة، لن يستويا أبدًا، لا في قراراتهما، ولا في تفكيرهما، ولا في حياتهما، حتى لو كانا في الصورة الخارجية يشبهان بعضهما.

أصلنا في هذه المسألة وفهمنا إلى أيّ درجة هذه البصيرة قضية هامة، وليست في هذه النصوص فقط، لكن اختيرت هذه النصوص من باب كونها مضروب فيها مثل، وتحتاج إلى فهم.

سنرى ما يؤكد المعنى السابق وهو حاجتنا إلى البصيرة، اتفقنا على حاجتنا للبصيرة أمام القرارات، وهذا سيكون واضحًا بالنص، فقد قال: من قال أن القرارات تحتاج إلى بصيرة؟

نقول أن الله -عز وجل- يقول، والنبي ﷺ يقول، واتفقنا من البداية أنه لا أحد يقول لنا كلامه، ويقول لنا هذا مهم، وهذا غير مهم، وهذا الحل وهذه المشكلة، نقول: إذا قال رب العالمين لنا، قلنا مثلما قال، قال رسوله الكريم ﷺ، قلنا مثلما قال.

سنرى الآن كيف أننا بحاجة إلى البصيرة لأن الحياة عبارة عن قرارات، وهذا هو أحد النصوص الدالة على ذلك، وهو من النصوص المشهورة

والمعلومة، في الحديث يقول النبي ﷺ: ((تُعرضُ الفتنُ على القلوبِ كالحصيرِ عودًا عودًا)).

هذه الجملة مباشرة تقول لك أن الحياة قرارات، أين الشاهد؟ (تُعرض الفتن)، ما معنى الفتن؟ كل ما تتصوره في الحياة! نحن نتصور أن الفتن تعني فتنة المسيح الدجال، ذاك البعيد! وإذا كنا طيبين قلنا فتنة المال والولد، لكننا لا نتصور أن الفتن تعرض كالحصير عودًا، عودًا، يعني موضوعًا، موضوعًا، مثل: إلى أين تذهب؟ إلى أيّ جهة تتخذ القرار؟

في أحيان كثيرة تسأل نفسك كيف وصلت إلى هذا المكان؟ أهل الطاعة في طاعتهم وأهل الفجور في فجورهم، حين يسأل الإنسان نفسه: كيف وصل إلى هنا؟ سيجد أنها سلسلة من القرارات التي دفعته إلى أن استجاب، إما يمينًا وإما شمالًا، هذه الجملة النبوية تفهمك **صورة الحياة، التي هي عبارة عن فتن معروضة عليك كالحصير.**

والحصير له معاني؛ كالحصير أي كالمحصور، هذا فهم، أو كصانع الحصير المعروفة. الحصير المعروفة عبارة عن جمع لمجموعة حُصُر، أعواد، فتصور حياتك عبارة عن فتن كالحُصُر، أخذت فيها قرارات وصار لها شكل.

المقصود أن الإنسان -مؤمنًا كان أو كافرًا- تعرض عليه الفتن، والفتن هي كل المسائل والأشياء التي فيها قرارات واختيارات.

تصور أننا أنهينا طعام الغداء، وبقي ما بقي من خيرات الله، ما الذي يحصل بعد ذلك؟ هنا قرار واختيار، وهنا قرار واختيار، بمعنى أنك لا تنفك ساعة من القرار والاختيار، وهذه هي الفتنة: ماذا ستفعل؟

يعني لو وُكِّلت على إنسان، أو حتى بهيمة، هذه فتنة، ولو وكلت على جماد، فمثلًا بعض الناس يعطوا أمانات، مثلًا تقول لك أختك: "سأترك جوالي عندك حتى أنتهي من موعد الطبيب"، هذه فرصة للتقليب في جوالها، الموضوع قرار، هي دقائق، أو ثواني، ماذا ستأخذ قرارًا؟ هذا الإنسان نفسه لو قلنا له تكلم عن الأمانة سيحدثنا ما شاء الله، خصوصًا لو كان متكلمًا، اترك هذا الشيء معه دقائق سيظهر حقيقة الموضوع.

الفتن تحيط بنا على هذه الدرجة، ليس حصيرًا كاملًا يعرض عليك مرة واحدة، بل عودًا عودًا.

هذه النقطة مهمة جدًا في فهمها، لكي نتصور بعد ذلك أن هذه القرارات لها أسس، والبصيرة في أسسها، البصيرة يجب أن تكون في أسس القرارات حتى تصبح القرارات سلسلة وسهلة وتلقائية ولا تحتاج

إلى كثير من التفكير، المشكلة أننا دائما نعالج الطرفية، وهناك فكرة وأمور أساسية يجب أن تكون صحيحة حتى يكون التصرف تلقائيًا، وسيتبين إن شاء الله.

كنا نقول أن الحياة قرارات واختيارات، هل عندك دليل على أن الحياة قرارات واختيارات؟ وهذا يجعلنا بحاجة إلى البصيرة، أن الحياة قرارات واختيارات، لأن الفتن تعرض على القلوب كعرض الحصير.

سنكمل الحديث وهو مشهور ومعروف، لكن نشير إليه بعض الإشارات، في الحديث ستنقسم القلوب إلى قسمين:

*القلب الأول تأتيه كل فتنة فـ (أُشربها)، يعني تأتيه الفتنة فيصبح راسبًا، خاسرًا، يسقط فيها، يُشرب الفتنة، تدخل إلى قلبه.

*الثاني ينكر هذه الفتنة.

أو بتعبير آخر: حين يتخذ قرارًا، كل من الطرفين يتخذ قرارًا على أساس مواد موجودة في قلبه، ولو تكلمنا عن البصيرة نقول: لما تعرض عليه الفتنة يتبصر أنها فتنة، فمثلًا حينما يريد أحد أن يختبرك، ويعطيك شيء ويقول لك: هل تحتاج كذا؟ -بمعنى: لا تحمل همه فأنا سأعطيك-، وهو ليس صادقًا لكنه يريد أن يختبرك، لو فطنت أنه

يختبرك، كيف ستتصرف؟ ستتصرف بالطريقة السليمة، لكن لو ما فطنت، سترمي آمالك، ثم تكتشف أنه كذاب وأنه يخادعك.

وهكذا في الحياة، لو تصورت أنك مختبر بكاميرات تراقبك، أو بأحد يتابعك، شعورك أو إدراكك أو تبصرك بالمتابعين أو بالكاميرات، البصيرة هذه ستجعل تصرفك يختلف عن تصرفك وأنت لا تبصر، وهذا هو الفرق بين القلبين:

*قلب أبصر في ثنايا المعروض فتنًا، قلب أبصر في ثنايا المواقف والأحداث فتنًا، أبصر في ثنايا القرارات -التي يصبح مسؤولًا أنه يأخذها- فتنًا، فأنكر على نفسه كذا وكذا، انتبه.

*وقلوب لا تدرك أنها مختبرة.

في المثل الذي ضربناه في هذا الباقي من طعام الغداء، وهذا يحصل في كثير من الأماكن -ونعوذ بالله من زوال النعم، نعوذ بالله أن نكون سببًا في إزالة النعم عن أنفسنا، وعمن يأتي وراءنا، الله يعيذنا-، لو تصورت أن تمكنك من هذه النعمة، وأن بقاء الطعام بعد انتهاء أكلك أنه اختبار، وإما سيوضع لك (صح)، وإما سيوضع لك (خطأ)، هو اختبار وإما ستسير في طريق الحفاظ، أو ستسير في طريق الإزالة.

لو تصورنا هذا سيكون موقفنا أننا سنقوم بأنفسنا ونجري ونقول ونفعل، لو ما تصورت ذلك، فستقول: العاملات يفعلون، وعندما يقال: وجدنا طعامكم في القمامة، ترد: هذه العاملة كلما قلت لها لا تسمع الكلام.

هذا الاتكال على الآخرين إشارة إلى أني ما تبصرت أنه اختبار، ومن ثم يهون الأمر علي، إلى أن أنسى أصلًا أن الباقي هذا من الطعام عبارة عن اختبار، أنساه، ولا أتصور أنه اختبار، لا أتصور مقدار الطعام الذي أضعه أثناء الطبخ، هذا كان اختيار وقرار!

وقد أتيت بهذا المثال البسيط، وأنت دور المسألة في ذهنك، وانظر إلى كثير من الأمور التي حولنا تسير بدون تصور أني أنا مختبر.

انظر مثلًا لأمر الشيطان أراده من آدم -عليه السلام- في السماء، انظر كيف أزل الشيطان آدم -عليه السلام- وحواء -قبل الإخراج- لأجل ماذا؟ لأجل أن يسقط عنهما لباسهما.

تصور هذه المسألة العظيمة التي أتت في سورة الأعراف، تصور هذا المعنى الكبير، تصور كيف أنه بعد قصة آدم في مطلع الأعراف أتت أربع وصايا {يَا بَنِي آدَمَ}، أول وصية امتنان الله أنه أنزل علينا لباسًا لستر

العورات {قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا}، ليس فقط هذا، {وَرِيشًا} للزينة {وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ}.

ثم {يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ} كيف يفتنكم؟ {كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ} ماذا يفعل؟ {يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا}، فتصور أن قرار اللباس فتنة، وما يجعلك تقول أنه فتنة، أن آيات تحدثك عن أن آدم -عليه السلام- إنما فتن، وكان أثر الفتنة أن يزول عنه اللباس، ورب العالمين يخاطبكم، يا بني آدم احذروا من الشيطان أن يفعل بكم ما فعل بأبويكم، نزع عنهما لباسهما، ثم لا أُقَدِّر بعد هذا كله أن قراري في لباسي ولباس أبنائي وبناتي عبارة عن فتنة!

هذا القرار أني أشتري هذه القطعة هو "تُعرضُ الفتنُ على القلوبِ كالحصيرِ" بالضبط، ثم أين ذهبت؟ "فأيُّ قلبٍ أُشربَها"، مرة بعد مرة نسينا الموضوع، ولو أتى من يكلمنا عن الحياء نقول نحن نستحي، وكأننا لا نتصور حقيقة هذا الموضوع، وخطورته.

في الحديث حين يُشرَبها ينكت فيه نكتة سوداء، نكتة بعد نكتة في هذا الموضوع، إلى أن يصبح "أسودَ مربادًّا كالكوزِ مُجَخِّيًا" كما في نهاية الحديث، أي كالكأس المائل، مهما وضعت فيه شيء من الحق، تكون النتيجة لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا في هذا الباب الذي امتحن فيه

ولم ينجح، ثم في الباب الثاني والثالث والرابع إلى أن تنطفئ بصيرة هذا وهذا، إلى أن تنطفئ بصيرة الإنسان كاملة، ويا له من خطر!

إذن حينما نقول (الفتن) لا تنتظر فتنة المسيح الدجال، فهي لها خيوط، كل حياتك عبارة عن مجموعة قرارات، وكل قراراتك إما تكون على بصيرة أو ليست على بصيرة، ليست أهواء، لا هواك ولا أهواء الناس، ولا رضاهم، بل هو اختبار.

لذا لو تصورنا هذا الأمر جيدًا، حتى لما أخطئ ويحصل مني قرار غير سليم، أكون واعيًا أني سرت على هواي في هذا الموقف، واعيًا أني اتخذت قرارًا غير سليم، لكن حين لا تشعر أن هذا قرار وهذا قرار، وتحسب أن هذا مجرد موضة ونحن سائرين مع الناس، إلى آخر ما تحدث به نفسنا نفسنا، إلى آخر هذه الأحاديث التي في الداخل التي فيها أخطار، هذه الأحاديث في أحيان كثيرة تكون مبنية على وحي من الشيطان، وسيتبين لنا أننا نحتاج إلى بناء داخلي، حتى عندما نأخذ قرارات، نأخذها في المكان السليم.

الخطأ موجود من كل الناس، ((كلُّ ابنِ آدمَ خطَّاءٌ)) لكن هناك فرق بين أن أعرف أني في مساحة الخطأ، وبين أني أصلًا لا أفكر أنه قرار قد يكون صحيحًا أو خطأ، من المؤكد أن هناك فرق كبير.

فالأول حالته أنه كلما جاء له هذا الأمر الذي يحتاج إلى قرار أنكر على نفسه أن تميل إلى الباطل، وحتى لو حصل منه الخطأ يحصل منه تراجع، ماذا ستكون النتيجة؟ ستكون النتيجة نكتة بيضاء، ثم نكتة بيضاء، لكن فكر في النتيجة النهائية، هذه النتيجة المفروض أن يبذل الإنسان قواه ليصل إليها، وهذه النصيحة نبتدئ فيها بالشباب، لأن **رسم آخر حياة الإنسان إنما تكون بالقرارات التي تكون في بداية حياتك**.

واسمع إلى هذا التعبير النبوي العجيب، تصور في باب قرارات ملابسك وملابس أبنائك، وقراراتك في طعامك، سرت على بصيرة، وهذه النكتة البيضاء على النكتة البيضاء في هذين الموضعين، لأن كل قرار كأن له مساحة وفيه نقطة بيضاء، ممكن القرار الثاني لا توفق فيه، لا يكون عندك بصيرة، فيكون في ذاك نقاط سوداء، لكن تصور لما تكون النقاط بيضاء ماذا تكون النتيجة؟

اسمع الكلام النبوي بقلبك، يقول النبي ﷺ، ((حتى تصِيرَ على قلبين، على أبيضَ مثلَ الصَّفا، لا تَضُرُّه فِتنةٌ ما دامَتِ السمواتُ والأرضُ))، في هذا الباب، القرار الذي أخذته المرة بعد المرة بعد المرة، وفهمت في كل مرة أن الباقي من طعامك فتنة، وأنت مجتهد في كل مرة، هذا الباب من

الفتن سيغلق عليك، وتصبح موفقًا دائمًا إلى أن تتصرف تصرفًا سليمًا في هذا الباب، بل وترزق من يعينك على ذلك، ((أبيضَ مثلَ الصَّفا، لا تَضُرُّه فِتنةٌ ما دامَتِ السمواتُ والأرضُ)).

سنضرب مثالًا سنشعر به مباشرة، تصور الكبار في السن الذين يقومون لصلاة القيام بدون أن ينبههم أحد، يقومون يصلون صلاة القيام، ويقرؤون القرآن إلى أن يؤذن الفجر، هؤلاء الكبار في السن الذين هذه حالتهم ماذا كان ماضيهم؟

كان ماضيهم أنهم كلما فتحوا أعينهم يريدون أن يستيقظوا من النوم، يقول لهم الشيطان خذوا غفوة، وهم يقولون لا، وتقوم هذه المرة بعد المرة، قد يحصل خطأ، والخطأ موجود، لكن المرة بعد المرة حتى ينتهي هذا الاختبار، ويسكت هذا الصوت الذي يقول لها نامي وخذي غفوة.

وقد ورد في بعض الآثار أن مثل هؤلاء توقظهم الملائكة ليقوموا للصلاة، المعنى أن اختبارها في هذا الباب انتهى، فأصبح قلبها أبيض مثل الصفا لا تضره فتنة.

وأشد من ذلك الذين يكونون في غيبوبة، الذين يكونون غير مدركين وهم يتلون القرآن أو يؤذنون أو يقيمون أو يتوضؤون، وكل هذا مشاهد ومرئي، هؤلاء هذا الباب لهم وصلوا فيه الحد في اتخاذ قراراتهم إلى أن

أصبحت قلوبهم بيضاء مثل الصفا، بصيرة وُهِبوها فتسلطت على هذا المعنى، فأصبحوا يتخذون قراراتهم المرة بعد المرة لما كانوا أصحاب القرار، فلما غابت عقولهم التي تتخذ القرار، دأبت نفوسهم على نفس الحال، بقيت نفوسهم تفعل نفس الفعل، فأصبح جزءًا من كينونتهم - كما نعبر-.

المقصد: هذا إرشاد عظيم من رسولنا الكريم، أننا نعيش في الحياة كلها اختبارات، كلها قرارات مطلوب منك أن تسلط عليها الضوء، وتكون عندك بصيرة وأنت تتخذ هذا القرار، ثم يأتيك التوفيق من رب العالمين.

الحياة كلها جهاد، فوسع فكرة القرارات حتى تعرف دائرة الجهاد؛ دائرة الجهاد هنا: ماذا تقرر؟ كيف ستتصرف مع الأحبة؟ كيف ستتصرف مع من تبغض؟ أين ستتعلم؟ أين ستعلم أولادك؟ ماذا ستعلم أولادك؟ كلها قرارات وهي محتاجة إلى مجاهدة.

الآن فهمنا العلاقة بين البصيرة ومسألة القرارات والاختيارات؛ حتى تصيب في قراراتك أنت تحتاج إلى بصيرة، فهمنا أن الحياة كلها قرارات فنحن نحتاج إلى بصيرة.

وهناك فكرة أساسية يجب أن تبقى في أذهاننا حتى نفهم أساس هذه البصيرة، بمعنى أنه في أثناء النقاش كنا نقول (الذي قلبه أنكر)، في

مقابل (الذي قلبه أُشربها)، ماذا كان عنده من فكرة أساسية في فؤاده؟ ما هو تفكيره الذي يجعله في المواقف الصعبة، المواقف السريعة، والتي يمكن أن يلومه فيها الناس حوله، وهو يوفق لاتخاذ القرار؟

هنا سنتكلم عن منظومتين، ونود أن نستشعر أن هذا الذي سيأتينا كلام يحتاج إلى تركيز وفهم وتصور عميق، لأجل أن هذه أزمة يعيشها العالم الإسلامي من جهة عدم تصور أن القاعدة في التفكير هي التي فيها الخلل؛ بمعنى أن الناس كلهم حريصون على أن يكون سلوكهم منضبط على الشريعة، يحبون الدين، يحبون رب العالمين، وقابل أيّ أحد من المسلمين ستجد أنهم يحبون رب العالمين، ويحبون رسوله الكريم ﷺ، ويحبون أن يسيرون على الصراط المستقيم.

وتجده دائمًا يقول لك: "نفسي تغلبني"، يقال لك: **فكر بالطريقة السليمة لتتخذ قرارات سليمة**، بمعنى أن الإنسان حين يكون داخلًا في اختبار، ويفهم أن هذا الاختبار سيحدد مستقبله -كما نعبر-، يبذل جهده ألا تغمض عينيه، أن يدرس ويعمل، لما غير تفكيره غير تصرفه.

مرة أخرى: الكلام هنا أن البصيرة يجب أن يكون موقعها تفكيرنا، لو كنا نفكر بالطريقة السليمة، ستكون النتيجة قرارات سليمة، خصوصًا أنك تكون في مواقف وتجد هذا يضغط عليك، وهذا يكلمك، وهذا

يغريك، مثل جماعة التسويق الذين يهاجمونك ويصرون أن تشتري منهم، ولما تعود إلى البيت لا تعرف ماذا تفعل بنفسك، كل أهل الدنيا مثل جماعة التسويق هؤلاء؛ يسوقون لأفكار الشيطان، وأنت مسكين تفقد تركيزك، ودائمًا نقول فقدت تركيزي، ولك حق أن تفقد تركيزك من الضجة، لكن لو كانت طريقتك سليمة في التفكير، ستراهم بصورة الضاغطين عليك، فتشعر أن المطلوب منك أن تدفعهم بكلتا يديك، وتتذكر لحظات الندم التي في البيت على ما صرفته، فتدافعهم، وبنفس هذه الطريقة عليك أن تدافع أفكار الشيطان.

سنعرض منظومتين للتفكير؛ منظومة الوحي، ومنظومة الشيطان.

عندنا طرفان:

١-شخص ارتد على عقبيه؛ استهوته الشياطين في الأرض حيران، وهذا عنده منظومة للتفكير؛ {كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ} منظومة الشياطين.

٢-أصحاب يدعونه إلى الهدى، وهؤلاء عندهم منظومة للتفكير، {لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى}، وهذه هي منظومة الوحي.

سنوضح طريقة التفكير في كل من المنظومتين من عدة وجوه:

*الإله

*المرجع والمصدر

*القيمة المركزية

*الفعل

*الغاية

*الثمرة

سنبدأ بمنظومة الوحي: سنبدأ أولًا في تفكيرنا في الإله، الحمد لله، نحن بفضل الله مؤمنين بالله، نعرف أنه إلهنا هو الله -سبحانه وتعالى-، لكن نريد أن نفعِّل هذه النقطة تفعيلًا صحيحًا، سنضع المقارنة ومنها -إن شاء الله-، سيظهر التفكير.

ما معنى الإله؟ المعبود، الإله من التأليه، من المحبة والتعظيم، هو محبوبي المعظم، وانطر إلى معنى لا إله إلا الله بهذه الطريقة؛ فيكون: لا محبوب ولا معظم إلا الله، بمعنى: فؤادي مليء بمحبته وتعظيمه، هذه المحبة والتعظيم ملأت عليّ أركان وجداني، فإذا حصل هذا التعظيم والتأليه كما ينبغي، لا بد أن يكون أثره واضحًا عليّ.

سنرى منظومة الشيطان نجدها تقول: الإنسان هو الإله، لنرى صورًا واقعية، لأننا دائمًا لما نقول الهوى كأننا نشير إلى هناك، لكن عندما تقترب من الصورة الواقعية، تجد أننا نحن نسأل الله عما يفعل، نسأل الله عما شرّع، سؤال المعترض على قدره، وعلى شرعه، إلى درجة أن سؤال المعترض، بل فعل المعترض حتى على جنس الإنسان، وصلت الإنسانية عمومًا أنهم يعترضون على كون الذكر ذكر، والأنثى أنثى.

لما تأتي بهذه الأمثلة كأننا نبعد عن مجتمعنا، فلنترك هؤلاء ولنتكلم عن القريب.

يجب أن نسأل أنفسنا دائمًا: من هو الإله المعظم المحبوب الذي أبذل لأجله، الذي تحصل التضحية لأجله، الذي أفعل لأجله، الذي أرى أنه فوق السؤال، وفوق الاعتراض؟ من هو إلهي الذي أرى أن عملي له، وبذلي إنما يأتي من انشراح صدر وحب وفرح؟ الإله هو الذي سيملأ

فؤادك وتعمل لأجله، في الواقع سنجد أنفسنا غالبًا التفكير في الذات؛ في تعظيمها، في مدحها، في الثناء عليها.

انظر إلى الفرق بين المنظومتين؛ حيثما يكون الله هو الإله، سأكون مشغولًا بمكانتي عنده، سأكون مشغولًا هل أنا ممدوح في السماء أو لست ممدوحًا، حين يكون الإنسان هو المعظم سيكون مشغولًا كم مدحه الناس؟ ماذا يقول عني الناس؟ ما هي نظرة الناس إلي؟ كم حصل ثناء؟ إلى آخره.

هذا الفرق ستجده في الواقع واضحًا جليًا، وهذا الفرق في التفكير:

*أنا بفعلي هذا سأكون ممن أثنى الله عليهم في السماء أم لا؟ سأكون ممن ذكرهم الله في السماء أم لا؟

*في مقابل عندما تكون الثانية هي المهمة، سيكون شغلي الشاغل -وليس مجرد خاطرة ولا مرة-، أنا عند الناس ماذا أكون، فالتعظيم لذاتي، لذلك حين أعظم ذاتي، سيهمني أن يهال عليّ المدح والثناء، وأصل إلى حد من الطغيان أني أريد ألا أُسأل عما أفعل، ولا أحد يحاسبني على أفعالي، ولا أحد يضع لي حدودًا، لا أريد أن يقول لي أحد: "هذا ممنوع، استر هذا من جسدك، امنع هذا من مالك، لا تدخل هذه الأبواب"، وأقول: "لا! أنا إنسان وعندي القدرة أن أتخذ قراراتي، وأفهم مصلحتي

من غير مصلحتي، في الماضي كان الربا مضرًا، أما اليوم هو معاملة الناس يحتاجونها".

وكأنه يستطيع أن يحدد مصالحه، ويعظم هذا الإنسان ودواليك، خذ من هذا وسر.

هذه الفكرة الأساسية: (أسلوبك في التفكير)، إذا كان يشغلك مكانك في السماء، في كل الأحوال ستكون الطاعة أمرًا يسيرًا عليك، أنت أهم شيء ترضى يا رب العالمين، ما يشغلني هو مكاني عندك، ما يشغلني هو أن تكون راض عني.

فلا يقول أحد أنه كامل العبودية وهو نفسه مشغولة بنفسه عن ربه، وطلب ثناء الناس يشغله عن ثناء الله له، لا تقل إنك كامل العبودية، فكمال العبودية يستلزم منا هذا الشيء.

قلنا أننا سنغير تفكيرنا، وهذه أول شيء في تغيير التفكير: من إلهك الذي تعظمه؟

الأمر الثاني: المرجع والمصدر، نركز في هذه لأن هذه دائمًا فيها دعوى؛ ندعي أن مرجعنا الكتاب والسنة، وعندما تأتي المواقف والأحداث، نجد أنفسنا غير مشغولين بالتأصيل، وليس موضوعنا.

لما ننظر إلى طريقة تربية أبنائنا، إلى الاهتمام في ترتيب الأولويات في حياتنا، من أين لك هذا الترتيب؟ من أين لك هذا الاهتمام؟ فتكون النتيجة أن عقلنا قال لنا ذلك وليس الوحي.

وهذا معناه أنه يتطلب حتى أسير على هذه المنظومة أن يكون دائمًا عندي سؤال يبحث: ما هو النص؟ ما هو المطلوب مني؟ ماذا قال رب العالمين عن هذا الموضوع؟

الجهل بكلام رب العالمين وكلام رسوله ودلالات كلام الله وكلام رسوله سبب رئيسي أن قراراتنا لا تكون سليمة، وتكون على الهوى، لا نريد قرارات سليمة مئة في المئة، فهذا ليس من طبيعة الإنسان، لكن أبذل جهدي وأتعلم بقدر ما أستطيع، وأقول بينوا لي بالدليل بماذا أمر رب العالمين.

لذلك تجد أناسًا يسلمون فيحسن إسلامهم، فيكونون أقوى في امتثالهم للنص من مسلمين ولدوا مسلمين ومات أهاليهم مسلمين، لكن عندهم ضعف في التسليم للوحي، هذا هو الشيء الخطير؛ إذا قلنا: "هذا الشريعة منعته"، يقال لك: "بالعقل هذا فيه مصالح للناس، فيه كذا وكذا من الأمور"، ما دمت أدخلت العقل في مستندك للقرارات إذن أنت ألغيت الوحي بالتأكيد.

هل الوحي يلغي العقل؟ لا، الوحي لا يلغي العقل، لكن العقل المجرد من الوحي يلغي الوحي، لأن العقل محدود.

توجد أمور منعتها الشريعة لو سرت فيها لن تعرف نتائجها السلبية إلا بعد أن تمر دهور وتأتي النتائج، هل كل الأمور سنعيشها بهذه الطريقة؛ أفكر بعقلي وأتخذ قرارات، ثم تظهر سلبيات، ثم أغيرها، وأعود مرة أخرى وأتخذ قرارات أخرى؟

أو أن الذي خلقنا أمرنا ونهانا، ونحن معظمين له فنقول: سمعنا وأطعنا، حيث تقرأ أواخر سورة البقرة كل ليلة قبل أن تنام وتقول {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} عش هذا المعنى، وليس كلامًا باللسان، فالمنافقون في أول سورة المنافقون قالوا {نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ}، والله يشهد أنهم يكذبون في ادعائهم أنهم يشهدون أنك رسوله {وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ}.

لا بد أن تكون هذه المنظومة صحيحة، لا أتصور أني سأعرف كل شيء في الوحي، لكن مطلبي: يا رب دلني في هذا الموقف ما هو التصرف السليم الذي يرضيك، بصرني بنص يساعدني، العلم رزق رب العالمين يسوقه للصادقين.

هذا العلم هو أصل البصيرة، وليس المقصود العلم الذي نقرؤه ونتعلمه ونحفظه ونعيده والقلب لم يدخل إليه منه شيء، لكن هذا العلم الذي يأتي للعطشى، العطشان الذي يريد حقًا أن يعرف ما يرضي رب العالمين، فيأتيه هذا العلم كأنه الماء البارد، من شعر أنه في ظلمة ويريد من النص الضوء والنور، رب العالمين يرزقه إياه.

فكوننا نجعل الوحي مصدرًا في تفكيرنا، هذا معناه أني حين أتخذ قرارًا أفكروأسأل رب العالمين أن يرشدني، رب العالمين ينظر إلى القلب المشتاق أن يجد نصًا يرشده كيف يفعل، وهو ليس مسارعًا بعقله، يجد أن العقل متقدم على النقل في قراراته، -هذا بالنسبة للمرجع-.

ننظر الآن إلى الأمر الثالث: وهو ما يسمى بـ (القيمة المركزية)، ويقصد بها الشيء الذي نحن ندور في فلكه، والشيء الذي دائمًا أصحح قراراتي وتصرفاتي عليه، عندنا في المنظومتين أمران مختلفان تمامًا:

*في منظومة الوحي أنا من البداية معَظم لرب العالمين، من البداية قلبي ممتلئ به -سبحانه وتعالى-، فتفكيري مشغول به، بمعنى التوحيد؛ أني لا أريد إلا إياك، لا أريد إلا رضاك، بمعنى أنه هو مقصدي وغايتي، وأنا أعرف دوري، أنا مخلوق مربوب عبد أعرف مكاني، وبهذا يكون الإنسان حرًا، **التوحيد هو حقيقة الحرية**، لأن الإنسان في هذا الباب

سيكون مستغنيًا عن الخلق جميعًا بالله وحده لا شريك له، سيكون حرًا من أن يطرق باب فلان وعلان.

*في مقابل أن في منظومة الشيطان المسألة مختلفة، أكثر شيء يفكر فيه الإنسان في منظومة الشيطان أن يخرج عن النظام الذي وضعه رب العالمين.

على كل حال **فليبشَّر كل من أراد أن يخرج عن نظام رب العالمين أنه سيكون مسجونًا في بقية الأنظمة الشيطانية، لأنه لا يمكن للإنسان أن يعيش بدون نظام، لا يمكن أن يعيش الإنسان بدون أن يكون له حدود ويعرف المسؤوليات، هو وغيره.**

فمن تصور أن انفلاته من التوحيد سيدخله في الحرية، هو سيدخل في عين العبودية للشهوات، سيكون رهينًا لها، وهذا كلام من الصعب بيانه في عجالة، لكن لو تأمل الإنسان وفكر سيعرف أن الشيطان يخرج الإنسان من شرف العبودية لرب العالمين لذل العبودية له، وقد توعد الخلق بذلك، لذا تسمع الشاعر يقول:

ومما زادني فخرًا وشرفًا

وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي

وأن صيرت أحمد لي نبيًا

شرف عظيم لمن كان يفهم ما هو الشرف، كيف أنت أيها المؤمن تنام على فراشك ثم الملائكة حملة العرش تستغفر لك، كيف أنت أيها المؤمن تخرج لنفع الناس وتعلمهم الخير، فيصلي الله عليك وملائكته، وحتى النملة في جحرها، أيّ شرف هذا يبلغه المؤمن بإيمانه، يُثنى عليك ثناء عظيمًا لما تذكر رب العالمين، يناديك رب العالمين في آخر الليل هل من مستغفر، هل من صاحب حاجة، أيّ شرف هذا!

أنت في منتهى الحرية في كونك لا تسأل ولا ترجو إلا من يملك السماوات والأرض، تقف بين يديه في غاية العزة، عزة المؤمن.

لذا ربنا في القرآن كثيرًا ما حدثنا عن هذه الحاجة؛ حاجتنا للعزة {مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}.

هذه القيمة المركزية التي تكون في حياتنا تجعلنا في كل مرة -ونحن نتخذ قراراتنا- نفكر هل هذا القرار سيجعلني عبدًا لهذا الموضوع؟ يجعلني عند باب هذا الموضوع؟

مثلًا الإغراء بالديون، هذا شغل جماعة معينة، يقولون لك اشترِ وسهلنا عليك المواضيع، وافعل كذا وكذا، والشريعة تمنعك حتى تبقى عزيزًا، لأنك تعرف أن في نهاية هذا الإغراء ...، الآن هم يضيفونك ويقدمون لك ويفعلون لك، انظر لمن خطا قبلك، وانظر ماذا يفعل بهذا الإنسان، **واعلم أن رب العالمين ما منع شيئًا إلا لبقائك في الكرامة.**

أنت كريم على الله، سجودك له كرامة لأنه يمنعك من سجودك للشيطان، والكلام عن هذه النقطة يطول، لكن ننتقل لأمر آخر.

سنرى النتيجة، وهذه النتيجة تكون عادة في الممارسات، وهذا هو الأمر الرابع (الفعل): سنأخذ الطغيان الذي في منظومة الشيطان قبل أن نأخذ التسليم.

*حين لا تكون المنظومة منتظمة في داخل الإنسان، ويكون الشيطان هو الذي يصور له الأمور، كل مرة يرى أنه في حال استغناء، مباشرة يحصل منه الطغيان، كل مرة يجد نفسه متمكنًا من شيء، فورًا يطغى، وهنا تسمع في أول سورة نزلت في القرآن {كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ} يعني متى يرى نفسه مستغنية، مباشرة يطغى.

لذلك انظر كيف مواقف تأتيك؛ تجد أن الإنسان كان في حال ضعف، وكان في حال ذل، وما أن حصل له استغناء، ينقلب الإنسان انقلابًا تامًا، ويمارس الطغيان مهما كان موقعه من الحياة.

لا تتصور أن الطغيان حالة خاصة بأناس لهم سلطات عظيمة، فالآية {كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ} تعم كل الناس، {فَأَمَّا مَن طَغَىٰ} وتجد التي تليها مباشرة {وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} معنى ذلك أن هذا السلوك مشترك بين الناس كلهم، يمكن أن يدخلوه ما دام الذي يشغلهم الدنيا.

هذه الدنيوية خطيرة علينا، متى يكون العقل مشغولًا بالدنيا، مباشرة يحصل الطغيان.

*في مقابل أن في منظومة الوحي الإنسان كلما أصبح في مكان، سأل ما الذي يرضي الرحمن؟ كلما كان في موضع، سأل ما الذي يرضي الرحمن هنا؟ شاغله ألا يقع موقعًا وينظر إليه رب العالمين، فيفعل على خلاف ما يرضي الله، مسَلّم لله.

التسليم هذا شأن لا تجعله منتزعًا منك، لا تجعل تسليمك لرب العالمين لا يخرج إلا بكل قوة، لما يمنعك الشيطان من التسليم للرحمن في شرعه، في دينه، في القضاء والقدر، أنت قوِّ قلبك على الشيطان، إذا

لم يكن هناك تسليم لرب العالمين، فكل موقع تقع فيه ستفعل ما يمليه عليك هواك، ما يملي الهوى على الإنسان غالبًا يدخله على الطغيان.

هذه المنظومة -نكرر أنها- أسلوب في التفكير.

سنأتي الآن لأمر مهم -الخامس-، وهو الغاية، هذا الأمر يكاد يكون ملخص لكل الكلام السابق؛ المدى البعيد الذي تفكر فيه؛ خططك، وقراراتك.

ولنختصر كل الكلام الماضي في هذا السطر: بينك وبين القرار: ستتخذ قرارًا، هذا القرار أنت تفكر في نتيجته أين؟ هذا هو السؤال، حدد أنت تفكر في نتيجته أين، ستعرف أنت من أيّ المنظومتين، هناك أمور يجب أن تعرف نتيجتها في الدنيا، نعم، لكن رتب الأولويات.

قد تكون كاسبًا في الدنيا، لكنك خاسر في الآخرة نتيجة هذا، فما أن تجد نفسك في الآخرة خاسرًا، لا تفكر في أيّ معطيات أخرى.

مثلًا، إما أني أدخل في خصومة مع أحد لأجل حق يمكنني أن أتنازل عنه، وأصلًا ارتداد هذا الحق لي فيه صعوبة، هذا القرار دائمًا يكون صعبًا علينا، سأضع أمامي تفاصيل هذا القرار وتفاصيل هذا القرار، كم سأكون كسبانًا في الآخرة لو أخذت هذا القرار؟ وكم سأكون كسبانًا في الدنيا؟

والشريعة تسمح لي أن آخذ حقوقي، الشريعة لا تمنعك من أخذ حقوقك، لكن هذه القاعدة العامة؛ لما تأخذ قرارًا خاصًا توازن بهذه الطريقة، فكر بهذه الطريقة: أنا الآن كم سأكون كسبانًا في الآخرة؟ ثم كم سأكون كسبانًا في الدنيا؟ بهذا القرار أو بهذا القرار، إذا وجدت أن الخسارة في الآخرة، وهنا سنشترط الصدق، وسيأتينا في آخر الكلام، هذه الموازنة لا تأتي بالرأي، أنت تفهم جيدًا أن الله مطلع على قلبك، ويعلم إذا كنت صادقًا في موازنتك هذه، أو لست صادقًا.

مثلًا هذا ذو رحم، هذا أخ، والمنازعة معه لا بد أن تأتي بقطيعة، الشريعة تسمح لك أن تأخذ حقك، وتطلب منك أنك حينما تأخذ حقك، تأخذه بألطف شيء لا يخسرك أكثر قدر المستطاع، وأنت في النهاية صاحب القرار، أين ستكون الخسائر.

يمكن أن أقول: من حقي، لكن تدخل في الموضوع تجد أنك خسرت دنياك وأخراك، تجد أنك ما خرجت بهذا الموضوع إلا بقطيعة رحم، فلا لحقت بدنياك ولا أبقيت على أخراك.

وأحيانًا قد آخذ شيئًا من دنياي لكن يكون منغصًا غاية التنغيص؛ بقطيعة الرحم، وبخسارة الخلق، ... وإلى آخره.

إذن أيّ قرار ستأخذه فكر جيدًا، هنا لا أحد يقول: هل الشريعة تمنعني من أخذ حقي؟ لا نقول هذا، أيّ قرار؛ حفل زواج ابنتك قرار، لو كنت ستكسبين في الدنيا وتخسرين في الآخرة، تأخذين قرارك على أساس هذا.

منظومة الشيطان تقول لك فكر في الدنيا، فكر في الناس وما يقولون.

حين تفكر في الدار الآخرة ستكون كسبانًا للدنيا، لا تتصور أنهما يتناقضان، وإلا تكون ما فهمت الشريعة، أنت عندما تربح الآخرة ستربح معها الدنيا لو وازنت في الموضوع.

كأنك بهذه الأخيرة في قراراتك تفكر في كل ما مضى، لأن الدار الآخرة لن تعرف الوصول لها إلا لما تعظم رب العالمين، ويكون الوحي على بالك، ويكون رضا رب العالمين هو ما يشغلك، وأنت مسلم أمرك لله، فتكون الدار الآخرة تشغلك.

لكن تصور لما نأتي لحالة {رَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا}، حيث يكون كل مقصودي الحياة الدنيا، ثم أدعي إني أحب ربنا، ما دمنا لا نفكر في لقاء المحبوب إذن الحب دعوى، لأننا نعرف أنه حين يكون أبناؤنا وأحبتنا مسافرين وبعيدين، مسألة لقائهم تخطر على بالنا في كل وقت حتى ونحن مشغولون، ونبذل جهودنا أن نشغل نفسنا حتى نشتغل

عن التفكير في لقائهم، ومتى يأتي ابننا وابنتنا، فلا تقل أنا أحب وأنت لا تفكر في اللقاء.

الدار الآخرة على بال أهل الإيمان، وعلى أساس تفكيرهم في الدار الآخرة تتسلط البصيرة، ولذلك كل قراراتك؛ في تربية أبنائك، في إصلاحهم، في قرارات حياتهم، إنما تؤخذ على أساس هذه المنظومة؛ من المعظم في قلبي؟ على أيّ أساس أنا أسير وأرشد؟ ما مقدار توحيدي لرب العالمين في هذه المسألة وفي هذه المسألة؟ التوحيد ليس مادة نحفظها، ولا متن نسمعه، بل التوحيد حياة نعيشها، نكون هنا في الأرض واحدًا لواحد، تفكر في رضاه وفي لقائه، لذلك التسليم قضية غاية في الأهمية.

النقطة الأخيرة (الثمرة): المتداول بين الناس في أيّ موضوع: ما مقدار ما سنتمتع به؟ في أيّ رحلة، في أيّ مكان، المتداول: كم سنتمتع بكذا وكذا من الأمور، عندما يحكي لك أحد عن رحلة ذهب إليها، يكلمك عن اللذات والمتع التي مرت عليه.

اللذات والمتع في الدنيا إنما هي نموذج، شيء سريع يجري، وأكثر شيء سيكون بالنسبة لك غاية وثمرة تنتظرها ما تذوقه في فؤادك من حلاوة الإيمان، وهذه يذوقها المؤمن في الحياة بمثل المرات العابرة؛ يذوقها وهو خارج من رمضان، يذوقها وهو ذاهب وعائد من الحج، يذوقها بعد أيام

طوال بذل جهده في تلاوة القرآن وقيام الليل، يذوقها لكن ما يعدل بها شيئًا، لذلك تجده متبصرًا أن الحلاوات واللذات الأخرى تجري وتذهب، وأن هذه في كل مرة يتذكرها يجد نعيمًا في روحه لا يستطيع حتى أن يصفه لأحد، لا يستطيع أن ينقل أخباره لأحد، نعيم يبقى على بعد المسافة بينه وبين هذه الأمور، النعيم الذي ذاقه كأنه يجد حلاوته في لسانه.

وها نحن كلما مر خاطر رمضان أتت هذه المشاعر، كيف القلب يفز إلى تلك الأعمال راغبًا فيها، وكلما زاد ذوق حلاوة الإيمان، فز القلب إلى ذلك.

فكأن الثمرة التي تنتظرها وتحبها وتأخذ قراراتك على أساسها، دائمًا فكر: أني أريد طريقًا يوصلني إلى حلاوة الإيمان، لأن المتعة واللذة تجري، ولا يبقى من مثل هذه الأشياء إلا اسمها، في مقابل أن حلاوة الإيمان هذه يبقى أثرها في النفس، ثم يبقى أجرها عند رب العالمين، نسأل الله أن نكون من المخلصين.

مما سبق سنختصر معنى البصيرة، البصيرة مثل البصر عبارة عن قوة في الفؤاد نكشف بها الأمور، كأنها هي بصر القلب.

من أين تغذي البصيرة؟ تغذى البصيرة بأمرين:

الأمر الأول أن نكون صادقين، المنظومة التي تكلمنا عنها نكون صادقين فيها؛ صادقين في تأليه رب العالمين، في التزامنا بالوحي، في تسليمنا له، في جعل الدار الآخرة على بالنا، في طلبنا لحلاوة الإيمان، صادقين.

الصدق أمر مطلع عليه رب العالمين، يجب أن نكون صادقين في طلبنا لهذه البصيرة، صادقين في طلبنا من رب العالمين أن نكون على بصيرة، رغبة جامحة في نفوسنا أن ارزقنا إياها، أعطنا إياها، ألهمنا إياها، لأنها عطية من رب العالمين، ولا ننسَ {أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ} الله الذي جعل لك نورًا تمشي به في الناس، البصيرة تأتي من هذا.

الأمر الثاني العلم، كلما زدت علمًا بالله وبمفاهيم الإيمان، وبما يرضي الرحمن -سبحانه وتعالى-، كنت أشد بصيرة.

هذان ركني تغذية البصرة: صدق في طلبها من رب العالمين، وعلم بالوحي الذي نزل من عنده، سبحانه وتعالى.

نكون بهذا قد انتهينا من هذا اللقاء، نسأل الله -عز وجل- أن يكون في موازين الحسنات، وأن يبقى أثره إلى أن نلقاه، سبحانه وتعالى.